الفصل الثانى

دور المسلمين فى اكتشاف المنهج العلمى المعاصر

فضل المسلمين فى نقد العلية واكتشاف المنهج العلمى المعاصر :

كان للمسلمين الدور الأساسى فى ظهور المنهج العلمى المعاصر ، وذلك بعد نقدهم لضرورة العلية . وقولهم بأن العلية ليست حتمية . وهو ما قال به هيوم نقلا عن المسلمين ، وبخاصة الأشاعرة . وذلك بشهادة علماء الغرب أنفسهم مثل رينان الذى يقول إن هيوم تأثر بالأشاعرة فى موقفهم من العلية .

والأشاعرة لا ينفون العلية وما يترتب عليها من نظام فى الكون . ولكن ينفون فقط حتميتها ، لكى يثبتوا قدرة الله على مخالفة قانون العلية ، ويثبتوا بالتالى المعجزات .

وموقف الأشاعرة هذا يردون به على المعتزلة المتأثرين بأرسطو فى قولهم بأن العلية مؤثرة بذاتها . أى أن المعتزلة يرون أن النار مثلا محرقة بذاتها ، وأنها علة الاحتراق الوحيدة دون تدخل علة أو إرادة أخرى . أما الأشاعرة فيرون أن النار ليست حارقة بذاتها لأنها جماد

لا فعل لها ، وأنها لا تحرق إلا إذا خلق الله قدرة الحرق فيها . وأن النار لو كانت حارقة بذاتها لحرقت سيدنا إبراهيم . كما يعطى الغزالى مثالا آخر لذلك فيقول : إن خلق الروح والحواس فى النطفة ليس من خلق الأب ولا الطبيعة ، والعلة الوحيدة هى الله . وأى علة أخرى سواه ليست إلا اطرادا للعادة .

وهذا فهم دقيق لحقيقة العلية قال به الأشاعرة،وأخذه عنهم هيوم الذى يقول إن علاقة العلة بالمعلول ليس لها وجود فعلى فى الواقع . بل هى مجرد عادة عقلية . تكونت نتيجة تتابع الظاهرة مرات كثيرة . فنحن حينما نرى الظاهرة « أ » تتبع الظاهرة « ب » فى الوجود مئات المرات، فإننا نتعود الأمر ونعتقد أن الظاهرة الثانية تلزم بالضرورة عن الظاهرة الأولى. كما لو كانت هذه الضرورة من طبيعة الظاهرتين. فى حين أن هذه الضرورة مجرد وهم اعتقدناه بسبب ما تعودناه من تكرار وتتابع الظاهرتين ، وأنه لا توجد ضرورة عقلية تحتم ذلك . وهو بذلك لا ينفى العلية ولكنه ينفى ضرورتها . ونص كلام البقلانى الذى تأثر به هيوم هو (أن سبب تكرار حادثتين الواحدة بعد الأخرى يجعلنا نقول بتلازمهما بحكم العادة . فى حين أنه لا ضرورة عقلية تحتم ذلك ، بدليل أن القدرة الإلهية قد تدخل وتخرق العادة)[1] .

المؤلف يتجاهل دور المسلمين فى اكتشاف المنهج العلمى المعاصر :

وينسب الفضل إلى هيوم فى نقض مبدأ العلية الذى أدى إلى اكتشاف المنهج المعاصر ويتجاهل دور المسلمين رغم أهميته ورغم اعتراف الغرب لهم به .

المؤلف يناقض نفسه فى موقفه من هيوم :

حيث قال عنه فى كتاب المنطق أقوالا تناقض ما قاله عنه فى كتاب الفلسفة وذلك عند شرح موقف هيوم من العلية . فقد أشاد بهيوم فى كتاب المنطق ص ١٢٥ ، واعتبر موقفه من العلية سببا فى ظهور المنهج العلمى المعاصر . وفى نفس الوقت ذم هيوم فى كتاب الفلسفة صفحة ٩٣ ، واعتبر موقفه من العلية سببا فى هدم العلم وإنكار العقل والشك فى وجود الله . فكيف يحدث هذا التناقض رغم أن مؤلفى الكتابين واحد .

(١) مذكرات فى المنطق الأرسطى ص ١٤١ ، ١٤٢ للدكتور محمد جلال شرف .